

الفصل الرابع

الجنس كصورة مجازية ونهاية المادية

يُلاحظ أن الرؤية الحلولية الكمونية ترى العالم باعتباره كياناً عضويّاً مكتفياً بذاته، مرجعية ذاته، إذ إن مركز العالم يكون كامناً (حالاً) فيه، وبالتالي تتواتر الصور العضوية. ولكن هذه الصور العضوية تتحوّل، مع تزايد معدلات الحلولية والكمونية، إلى صور مجازية جسدية، ثم جنسية.

وقد أشار شوبنهاور - كما أسلفنا - إلى أن أعضاء التناسل هي أساس حفظ الحياة، لأنها تتضمن حياة لا تنتهي. ثم أضاف أنها من أجل هذا عبدها منذ القدم اليونان واليهود، أي أنه يرى أن المصادر الأساسية للحضارة الغربية، التراث الحضاري اليوناني والتراث الديني اليهودي، يدوران حول الأعضاء التناسلية. وتصور شوبنهاور ليس دقيقاً تماماً، فعبادة أعضاء التناسل مرتبطة بالحلوليات الوثنية الموغلة في البدائية. ورغم أن هناك إشارات جنسية واضحة في العبادة الديونيزية اليونانية، وفي بعض كتب العهد القديم، إلا أن وصفه لليونان واليهود بأنهم من عبدة أعضاء التناسل أمر يصعب قبوله. ومن الواضح أنه يُسقط رؤيته للكون على المصدرين الأساسيين للحضارة الغربية، ويعمم من الأجزاء الهامشية.

ومع هذا فإن هذه العناصر الجنسية في العبادة الديونيزية اليونانية قد تم محاصرتها وترويضها، حتى أصبحت الوثنية اليونانية شيئاً أرقى من عبادة أعضاء التناسل. أما اليهودية، فعلى الرغم من بداياتها التوحيدية، إلا أن تاريخها يشكل تراجعاً مستمراً